

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين..
أما بعد..

قول ربنا جلّ وعلا في سورة المطففين ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾.

هذا السياق العظيم المبارك فيه تسليّة لأهل الإيمان ولاسيّما من كان مُعتنٍ بالدعوة إلى الله جلّ وعلا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ من كان كذلك لابدّ أن يصيبه بهذا الطريق شيءٌ من الأذى والإساءة والسُّخرية والاستهزاء والتّهكّم، وهذه سنّة ماضية فإنّ أنبياء الله -عليهم صلواتُ الله

وسلامه- لم يسلموا من السنّة الساخرين وكلام المستهزئين؛ فكانوا بالأنبياء يسخرون ويدعوتهم يستهزئون، وبالحديث عنهم ذمّاً وقدحاً يتفكّهون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء]، فهي سنّة ماضية؛ ولكن العاقبة جعلها الله ﷻ لأهل الإيمان، وجعلها لأهل التّقوى.

وإذا رَوّض الدّاعي إلى الله ﷻ نفسه على أنّه لن يسلم من سُخرية واستهزاء وأنّ هذا الأمر سنّة ماضية مع كلّ من اعتنى بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يُلقِ بالآ إلى استهزاء مستهزئ أو سُخرية ساخر، ولم يحطّمه ذلك الاستهزاء ويثنيه عن المُضيّ في دعوته إلى الله ﷻ بل يرى أنّه يؤجر على ذلك صبراً واحتساباً.

ثمّ إنّ هذا الاستهزاء الصّادر من أعداء الدّعوة والدّعاة دليلٌ على أنّ المستهزئ مفلسٌ في باب الحجّة والبرهان، ودائمًا يلجأ المُفلس إلى مثل هذه الأساليب الرّخيصة والطرائق المشينة حيث لا يستطيع أن يجابه حجّة بحجّة وبرهانًا برهانٍ ودليلاً بدليل فليجأ إلى هذا الأسلوب -أسلوب السُّخرية-؛ وإلا لو كان يحولُ حجّة وبرهانًا لقابل الحجّة بالحجّة والبرهان بالبرهان، فهذا دليل

إفلاسه، وأنّه لا حجّة عنده ولا برهان، فلا دليل لمثل هذا الأسلوب.

فهذا ممّا يزيد الدّاعي إلى الله ﷻ مُضيّاً في دعوته ونشاطاً في أداء مهمّته، وعدم مغالاته بمثل هذا الاستهزاء وبمثل هذه السُّخرية.

ثمّ إنّ الله ﷻ جعل العاقبة لأهل الإيمان، وانظر تسليّة أهل الإيمان ببيان حسن العاقبة وطيب المآل في قوله جلّ وعلا في خاتمة هذا السياق العظيم المبارك: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ أَيُّ نفع حصّله، وأيُّ فائدة اكتسبها من لا عملٌ إلا السُّخرية بأهل الإيمان، والاستهزاء بأهل الفضل والصّلاح فلا يحصّل من ذلك إلا الخيبة.

أما أهل الإيمان فإنّهم ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾، وقبل ذلكم ذكر هذا الوصف في قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾.

وقيل في معنى ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ أقوالاً: أصحّها وأعظمها أن المراد النّظر إلى وجه الله ﷻ الكريم، وهذا أعظم من وأعظم عطاء، فقوله: ﴿عَلَى

الْأَرَاكِكُ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ هِيَ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وُجُوهُ يُؤْمِدُ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

وقيل في معنى النظر في هذه الآية تحديدا ﴿على الْأَرَاكِكُ يَنْظُرُونَ﴾: ما أعدّه الله لهم من نعيم في الجنة. وقيل: ينظرون إلى أعدائهم وخصومهم وهم يعذبون في النار. وقيل غير ذلك.

لكن يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ من جعل المعنى -معنى الآية- في هذا فقط أنقص النص عن معناه، وذكر رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الصَّوَابَ أَنَّ المراد بالنظر في هذه الآية هو النظر إلى وجه الله ﷻ وهي كقوله عز وجل: ﴿وُجُوهُ يُؤْمِدُ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ أي حسنة بهيئة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

وَمَنْ أكرمهُ اللهُ ﷻ بتعلُّم العلم والتفقه في الدين عليه أَنْ ينهَضَ بنفسه نُصْحًا للعباد ودعوة إلى الله عزَّ وعلا وتعليمًا بالحكمة والموعظة الحسنة مع صبر عظيم على أخلاق المدعوين، وما يحصل من كثيرٍ من أذى أو سخرية أو استهزاء وليعلم أَنَّ العاقبة الحميدة له في الدنيا والآخرة، والتوفيق بيد الله وحده لا شريك له.

اللَّهُمَّ أصلح شأننا أجمعين، ولا تكلنا إلى أنفسنا

طرفة عين، واهدنا صراطاً مستقيماً.

اللَّهُمَّ أعنا ولا تُعن علينا وانصُرنا ولا تنصُر علينا، وامكُر لنا ولا تمكُر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وانصُرنا على من بغى علينا.

اللَّهُمَّ اجعلنا لك ذاكرين، لك شاكرين، إليك اللهم مُنيين، لك مُخبتين، لك مُطيعين. اللَّهُمَّ تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخيمة صدورنا.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



السُّخْرِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

كلمة

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظهما الله تعالى

النسخة الإلكترونية الأولى



بالتنسيق مع موقع: <http://www.al-badr.net>

الشيخ لم يراجع التفريغ